تطور القصة الاسبانية

بقلم : خيري حماد

قليلون منا هم الذين يعرفون ان القصة بلغت شأوا بعيدا فى الأدب الاسبانى ، وأن هذا الشأو الذى بلغته لم يقتصر على الارض الاسبانية وحدها ، بل تعداها الى العالم الكبير الذى يتحدث بالاسبانية ، والذى تمثله هذه الجمهوريات الكثيرة العدد فيما يسمى بامريكا اللاتينية ، أى فى الامريكيتين الوسطى والجنوبية • ولعل السبب فى هذا الجهل من جانبنا ، هو ان عدد من يعرف الاسبانية منا قليل للغاية ، واننا نعتمد فى معرفتنا بما لاسبانيا من ادب وثقافة ، على الترجمات الكثيرة التى نجدها فى اللغات التى نعرفها كالانجليزية او الفرنسية • لكن الحقيقة التى يجب ان نعرفها ، وان تكون واضحة لكل من يشغف بالاداب العالمية ، هى ان القصة الاسبانية بلغت منزلة رفيعة ، وان هذه القصة الحديثة ، يمثلها عدد من خيرة القصصيين الذين زودوا القصة العالمية بروائع تعتبر من خير ما ظهر فى الآداب الغربية فى القرون الاخيرة •

ومن أبرز هؤلاء القصصين الاسبانى رامون ديل فاليه ـ انيكلان المتوفى فى عام ١٩٣٦ ، وقد اشتهر بقصة « شقيقتى انطونيا » ، والارجنتينى لويس بورجيس الذى توفى منذ عامين وصاحب القصة المشهورة « المعجزة الخفية » ، والجواتيمالى كارلوس ويلد اوسبفيا ، صاحب قصة « شرف البيت » ، والاورجوانى هوارشيو كويروجا صاحب قصة « الوطن » ، والكوبى لينو نوفاس ، كالفو ، صاحب مجموعة « القمر » القصصية ، والمكسيكى الشاب ارنورو سوتو الابارسى صاحب القصة المشهورة « رقم ١٣ » وغيرهم كثر ، من اروع القصصيين على الصعيد العالمى •

وهناك حقيقة واقعة ، يعترف بها مؤرخو اسبانيا ونقادها • وهى ان الادب الاسبانى يستمد جذوره من الحضارة العربية ، يوم كانت مزدهرة فى غرناطة وقرطبة وطليطلة • فلقد نقل العرب الى الحضارة العالمية عن طريق الاندلس فى العصور الوسطى • يوم كانت شمس الحضارة العربية تسطع على العالم المعروف باسره ، بينما تغط اوروبا فى سبات الجهل والظلمات ، حضارتهم العربية الاصيلة ، بالاضافة الى الحضارات العالمية القديمة ، التى كان لهم شرف حفظها وتهذيبها وصقلها ونقلها من الاغريق والفرس والهند والصين ، لتكون من الحضارة العربية ، أسس الحضارة العالمية الراهنة وقواعدها • ولم يقتصر مانقله العرب على الفلسفة والعلم ،

وانما نقلوا ايضا ، اروع القصص الفنى من امثال قصص كليلة ودمنة ، والسندباد ، والف ليلة وليلة ، مما كان له ابلغ الاثر فى النهضة القصصية الحديثة فى العالم ، اذ تجلى واضحا فى مجموعات قصصية كثيرة ظهرت فى مختلف اللغات الاوروبية وبينها الاسبانية بالطبع ٠

ولقد كان الفونس المسمى بالملك الحكيم ، فى قشتاله ، هو اول من عمل على اقتباس حضارة العرب وثقافتهم ، فقد حشد فى بلاطه ، العلماء والمفكرين ، ينقلون الى اللغة القشتالية ، الكنوز العلمية والادبية من العربية ٠ وكان هذا الملك هو الذى امر بترجمة قصص كليلة ودمنة « فى عام ١٢٦١ » ميلادية ٠ ولم يمض عامان حتى كان شقيقه دون فريدريك يأمر بترجمة قصص السندباد ايضا ، ليتبعها بمجموعات قصصية كثيرة اخرى ٠

وفى مطلع القرن الرابع عشر ، ظهر اول قصصى اسبانى ، ابتكر القصة الاسبانية الجديدة وخرج بها الى حيز الوجود ، وهو الدون خوان مانيويل ٠ فقد عكف هذا الفنان على القصص القديمة التى قرأها أو سمع بها ، وراح يعيد كتابتها بطريقته المبتكرة ، التى مثلت المرحلة الريادية فى تاريخ القصة الاسبانية ، اذ ان مجموعته « الكونت لوكانور » كانت المثل الذى احتذاه الكثيرون من القصصين الاسبان طيلة القرون التالية ٠ وبالرغم من ان مادة قصصه قديمة ، الا انه احالها الى خلق جديد ،فلم تعد نتاج تلك العقول المجهولة التى لايعرف صاحبها أوخالقها ، وانما باتت الصور الفنية التى يرسمها فنان يجد فى تراث الماضى مادته التى يستمد منها قصصه التى تجمع بين العبر والدروس والحكم ، والتى يستشف القارىء وراءها ٠ تعمقا فى فهم الطبيعة الانسانية ٠ وقد ذاع أمر هذا الكتاب ، وسرعان ما انتقل الى اللغات الاوروبية الاخرى ، ويقال ان شكسبير استمد مسرحيته الساخرة « ترويض الناشر » من احدى قصص مانيويل ، وعنوانها « الرجل الذى تزوج امرأة سيئة الخلق » ٠

وبانتهاء عصر مانويل ، بزغ فجر عهد النهضة ، لا فى اسبانيا وحدها بل وفى القارة الاوروبية كلها ٠ وكانت القصة القصيرة ، قد تطورت على الصعيد العالمى ، من سرد الاقاصيص القديمة ، الى التعبير عن رؤى الكاتب وخيالاته ٠ فنحن نرى الآن موضوعا تتضمنه القصة ، يتناوله الكاتب باسلوبه الفريد ، وقدرته على تجديد الرؤى السابقة ، واضفاء ثوب قشيب عليها من الاحساس بالجمال ٠

ولان مثل بوكاشيو فى مجموعة قصصه الخالدة « ديكاميرون » هذه النهضة فى ايطاليا ، ومثلها شوسر فى مجموعته « قصص كانتربرى » فى انجلترا ، فان ميجويل دى سيرفانتيس ، صاحب القصة المشهورة « دون كيشوت » ، هو الذى مثل عصر النهضة فى اسبانيا ، بقصته هذه وبمجموعة من القصص الصغيرة التى تعتبر المولد الحقيقى للقصة الاسبانية القصيرة ، ضمنها كتابة « روايات نموذجية » ٠ وقد ادرج سيرفانتيس فى هذه المجموعة التى نشرت لأول مرة فى عام ١٦١٣ ، اثنتى عشرة قصة متفرقة ، لاعلاقة للواحدة منها بالاخرى ، وتتناول مواضع شتى ، تعرض

بصوره جليه عبقريه كاتبها القصصيه التى جعلته فى مصاف ادباء العالم المشهورين. ولا يعنى هذا على الاطلاق ، ان سيرفانتيس لم يفد من سابقيه ومعاصريه ، بل افاد منهم الكثير مقتبسا عنهم بعض صورهم ، وأسلوبهم المتميز بالمرونة والأناقة ، ولا ريب فى ان عبقريته هذه هى التى دعته الى ان يزهو بنفسه فى مقدمة مجموعته ، اذ يقول ... « انا اول من يضع القصص فى لغة قشتاله ، اذ ان معظم القصص التى تطبع فى الاسبانية مترجمة عن اللغات الاجنبية ، بينما هذه القصص هى من وضعى ، لم أسرقها من أحد ، ولم أقلد فيها أحدا فعبقريتى ، هى التى ابتكرتها ، وقلمى هو الذى طلع بها الى الحياة » .

وسرعان ما انتشرت هذه القصص وذاع أمرها . ولم تمض سنة ، على صدورها حتى كانت تترجم الى الفرنسية فالانجليزية والالمانية . وكان بعضها يتناول قصص اللصوص ، والبعض الآخر من طراز قصص النقد الاجتماعى ، بينما يتناول البعض الثالث الدراسات النفسية ، او المغامرات الخارقة للعادة ، او هذه النواحى مجتمعة الى بعضها .. وهى تجد المثل السامية التى يعمل الفن الاسبانى على الوصول اليها ، والتى يحقق بعضها فى معظم الحالات ، وهى شمولية الحياة بما فيها من تناقضات ، واضطراب وبشاعة وجمال ، ومزج بين الواقعية والمثالية . وقد احس كبار الكتاب الاسبانيين فى مختلف عهودهم وعصورهم ، ان فى ابناء مجتمعهم، المادة الدائمة التى يستطيعون ان يصوغوا فنهم منها ، وقد برز من هؤلاء الكتاب فى القرنين السادس عشر والسابع عشر عدد من المشهورين من امثال تيرزو دى مولينا وسالاس بارابا ديلو ، وماريا دى زاياس .

وظهر الاتجاه الرومانطيقى فى القصة مع حلول القرن التاسع عشر ، وتمثل هذا الاتجاه فى صور قصصية ، تتناول الاجواء وطرائق السلوك ، واوساط المجتمعات . أما الصورة الثانية لهذا الاتجاه ، فقد تمثلت فى القصص التاريخية المحلية شعرا ونثرا . وبالرغم من أن هذا الطراز من القصص كان عاما فى العالم فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، الا انه عاش فى الادب الاسبانى سواء ما كان منه فى اسبانيا نفسها أو فى أمريكا اللاتينية مدة أطول . فالصبغة المحلية ، هى شكل آخر من اشكال التفردية ، التى تعتبر سمة مميزة من سمات الشعب الاسبانى، فلكل مدينة أو بلدة فى اسبانيا ، أساطيرها الخاصة بها بل ولكل حى من الاحياء ، أو شارع من الشوارع قصصه ورواياته ، وهى المادة التى يستقى منها الكتاب مصادرهم ، ويصوغون منها فنا قصصيا رفيعا .

ويمثل ريكاردو بالما ، كاتب بيرو الاشهر فى القرن التاسع عشر ، هذه المدرسة القصصية خير تمثيل . فهو فى سلسلة قصصه التى اسماها « تراث بيرد » والتى نشرت فى مستهل القرن العشرين ، يخلق عالما جديدا من ماضى بلاده وتاريخها . وهو فى القصص التى يرويها يجعل من ليما ، عاصمة بيرد ، أو غيرها من المدن المحور الذى تدور حوله هذه القصص ، التى يسردها وكأنها وقعت بالامس ، ونكتسب بذلك قصص الماضى البعيد حيوية وجدة ونشاطا .

وادى حلول عصر الواقعية فى الادب الاسبانى فى نهاية القرن التاسع عشر ، الى اندفاعات حيوية ضخمة فى الصور الفنية • وينقسم هذا العصر الى فترتين ، اولاهما فترة الجيل الأول التى بلغت ذروتها حوالى عام ١٨٧٠ • وبالرغم من ان الرواية الطويلة كانت الصورة الغالبة على هذه الفترة ، الا ان بعض الادباء ، اكبوا على القصة القصيرة يمارسون كتابتها وفى مقدمتهم بيدرو أنطونيو دى الاركون ، الذى اشتهر بقصة التى ذاع صيتها وهى « القبعة ذات الزوايا الثلاث » • وقد طلع بيدرو على العالم بمجموعات ضخمة من الاساطير والقصص التاريخية ، والحكايات التى تصور الغموض والسحر والفزع ، مدللا بذلك على تأثره البالغ بالقصص الانجليزى المشهور اليكزاندر بو •

لكن القصة القصيرة لم تحقق امجادها وروائعها فى الادب الاسبانى الا فى الفترة الثانية ، التى شهدت مولد الجيل الجديد من الكتاب فى مستهل القرن العشرين • وقد ادى زيادة مجالات النشر للقصة القصيرة فى الصحف والمجلات ، الى وجود الحافز الكبير على التوسع فى انتاجها ، فظهرت جمهرة من كبار القصصيين فى مقدمتهم اميليا باردو رازان وبالاشيو فالديس وليوبولدو الاس وبلاسكو ايبانيز . وغيرهم كثر • وكان هؤلاء الكتاب هم انصار الطبيعة فى الادب الاسبانى وان كان من الواجب القول ، بأن هذا الاتجاه الوجودى الذى برز بصورة خاصة فى الادب الفرنسى ، لم يجد جذورا عميقة له فى الادب الاسبانى •

فالجمود ، والعزلة ،والملاحظة العلمية ، والترفع ، وغير ذلك من مظاهر الطبيعة فى الادب ، لاتتفق مع المزاج الاسبانى • فالانسان الاسبانى لايفتقر الى البصيرة النافذة والاستشفاف البعيد فى صور الطبيعة ومرئياتها ، ولكنه دائما ، يمزج هذه الصور الجامدة ، بشىء من عواطفه الدافقة المتحركة • و لايرى الكتاب الاسبان فى الانسان حقيقة مطلقة ، او دمية لاحول لها ولا طول ، تتلاعب بها قوى الاقدار التى لاسيطرة لها عليها ، وانما يرون فيه فردا ، فيه جميع مظاهر الضعف والقوة ، وله هزائمه وانتصاراته • وحرية الارادة عند الاسبانى ، تأكيد جديد لفرديته ، وهى جزء لا يتجزأ من العقيدة التى تأصلت فى نفس كل أسبانى رغم الظروف الحياتية السيئة التى عاشها فى ظل الديكتاتوريات المتعاقبة •

وظهرت تباشير الثورة فى الحقبتين الاوليين من القرن العشرين على الواقعية والطبيعية فى الادب ، فى كل مكان فى العالم • وانتقلت هذه الثورة الى القصة الاسبانية ، فظهر امثال اونامونو وباروجا وفاليه ـ انيكلان • وفى قصص هؤلاء الكثير مما يتفق مع اذواق عصرنا الحديث الذى نعيشه الآن • ولم يعد الاسلوب الادبى ، مجرد وسيلة يعرض فيها الكاتب طبيعته ، بالنسبة الى المكان الذى يعيش فيه ، والزمن الذى يحياه ، وانما بات ايضا الابتكار الذى يستهوى ذوق القارىء ويدعوه الى التجاوب معه • وقد تميزت قصص هذه الفترة ، بالطابع الذاتى الغنائى ، الذى يؤكد بصورة عاطفية ، شخصية الكاتب وقواعده الفنية • ولعل هذا الطابع

نفسه ، هو الذى يخلق التفاوت الكبير بين كاتب وآخر · ولم يعد موضوع القصة وحبكتها هما اللذان يستهويان القارىء فحسب ، وانما يستهويه ايضا اسلوب الكاتب ، وطريقته ، وتجاوبه مع احاسيسه وعواطفه ، ذلك التجاوب الذى يدفعه الى اختيار الموضوع الذى يفضل غيره من المواضيع فى الانسجام مع مزاجه · واتجاهه واحاسيسه ·

فى امريكا اللاتينية

ولم تعد القصة الاسبانية ، ممثلة الآن فيما يكتبه الكتاب الاسبان وحدهم ، وانما انتقل الشطر الاكبر من تمثيلها الى الانتاج القصصى فى جمهوريات امريكا اللاتينية · ولا ريب فى ان الروائع التى صدرت عن الكتاب الامريكيين الاسبان فى هذه الفترة تعتبر من غوالى الدرر فى الادب الاسبانى فى مختلف عهوده وعصوره ، وفى هذا يقول جوزيه مارتى ، الكاتب الكوبى المشهور ··· « لقد أعطتنا اسبانيا لغة عظيمة رائعة · ولكن ليس فى وسعها ان تشكو أو ان تتذمر ، من اننا لم نكن جديرين بها ·

وكان الاسبانيون الذين ارتحلوا الى العالم الجديد ، أبان العهد الاستعمارى ، وذريتهم · قد خلقوا فى مهاجرهم أدبا جديدا يتميز بالابتكار والاصالة ، بالرغم من الحقيقة الواقعة ، وهى انهم ساروا فى ادبهم هذا ، على خطى الادب الاسبانى نفسه ، متأثرين بصوره واتجاهاته ، نظرا لما يقوم بينهم وبين اسبانيا من ترابط واتصال ، يشمل الافاق السياسية ، والحياتية كلها ، وما كادت هذه البلاد تنعم باستقلالها ، لتغدو جمهوريات قائمة بنفسها ، حتى اخذ ادبها يعكس تأثيرات اخرى تختلف كل الاختلاف عن تلك التى كانت تؤثر عليها فى الماضى ، والنابعة عن العلاقات بين اسبانيا ومستعمراتها عبر المحيط الأطلسى · لكن ظروف النضال السياسى والصراع فى سبيل التحرر · خلفت اتجاها خاصا فى الادب الامريكى الاسبانى تمثل فى الاقبال على الشعر والادب السياسى ، لانهما خير ما يصور احاسيس الصراع والنضال، واقتصر الانتاج فى مجال الرواية والمسرحية والقصة القصيرة على محاولات منعزلة ومتفرقة ، لم يكن لها شأنها الكبير ، فى بلورة القصة الاجتماعية الطابع التى تعكس احاسيس المجتمع ، وتصور اوضاعه ، ناقدة ، او ساخرة ، وداعية الى الاصلاح أو الثورة الاجتماعية ·

وسرعان ما ظهرت مجموعة من الكتاب الموهوبين والممتازين فى وقت واحد تقريبا ، فى مختلف الدول الامريكية اللاتينية فى مستهل القرن العشرين ، خلقت ثورة جديدة وقوية فى ادب المهجر ، ووضعت اسس القصة والرواية العصريتين · وقد تميزت كتاباتهم · تماما ككتابات اقرانهم فى اسبانيا فى الفترة ذاتها ، بالميزة الذاتية الشعرية ·· ، وكانوا يشتركون رغم ما بينهم من فروق وتباين ، فى اتجاه واحد ، وهو البحث عن انفسهم ، ومحاولة تفهمها · وكان الشغل الشاغل لمعظمهم

تحديد معنى امريكا التى ينتمون اليها ، وعهدوا الى خلفائهم بمتابعة هذه الرسالة التى اخذوها على عاتقهم • وكانت الروائع التى صدرت عنهم فى عالم الشعر وميدان المقال السياسى ، اكثر اصالة وابتكارا ، واقرب الى الخلود من ادبهم القصصى • ولكن لم تحل نهاية الحرب العالمية الأولى ، حتى طلع جيل جديد فى كتاب الرواية والقصة القصيرة ، زامن الجيل الذى شهدته الولايات المتحدة الامريكية فى الشمال • والذى خلق أمثال فولكنر وهمينجواى ، وجعل من هذا الفن الأدبى ، بما فيه من احساس بالجمالية ، وشعور بواقع الحياة ، الطابع الغالب على الادب الاسبانى الامريكى • كما خلق فيه روائع تعتبر فى المرتبة الاولى بين القصة القصيرة المعاصرة • ولعل من الغريب ان يلاحظ المرء ، ان عصر ازدهار القصة والرواية فى الولايات المتحدة وامريكا اللاتينية والبرازيل ، قد زامن عهد انحطاطها الى حد كبير فى اوروبا الغربية •

ويبدو ان كتاب امريكا الاسبانية • قد اخذوا بنصيحة سارمينتو ، الاديب الشيلى الكبير ، قبل نحو من قرن من الزمن ، عندما خاطب اسلافهم ، محددا لهم الاسلوب الفنى الذى يجب عليهم ان يتبعوه قائلا ••• « القوا بنظرتكم الفاحصة المدققة على بلدكم وشعبكم • وادرسوا عاداتكم وطبائعكم ونظمكم ، تمعنوا فى المشاكل القائمة عندكم ، واكتبوا عن كل ذلك ، بعاطفة صادقة محبة ، صادرة من اعماق قلوبهم ، وعاكسة ما تحسون به ، وما يحدث لكم • وسيكون ما تكتبونه ، رائعا فى محتواه ، حتى ولو اخطأتم فى اسلوبكم ، لأنه زاخر بالعاطفة ، التى تغطى على كل عيب ،ولوكانالافتقارالى الدقة •••• وسيكون ما تنتجونه ، ادبكم ، سواء أكان حسنا ام سيئا •

وقد اتصل هؤلاء الكتاب المعاصرون بالعالم وعرفوه • وطاف بعضهم ارجاءه ، دارسا وباحثا ، ثم عادوا الى بلادهم يحملون نتاج تجاربهم ، وثمرة معارفهم ،وخلاصة اقتباساتهم من اداب الآخرين ، ليتطبعوا بذلك كله ، فى نظرتهم الى عالمهم ، الذى لايرونه من خارجه ، كما يراه الاديب الواقعى ، وانما يقرأونه فى قلوبهم ، ويجدونه فى قرارة نفوسهم • وهم يصطرعون مع حقائق الحياة على عجرها وبجرها ، وحلوها ومرها ، باحثين عن اصالتهم • رابطين أنفسهم بمجتمعاتهم ، وبالارض التى يعيشون عليها ، والشعب الذى ينتمون اليه • وبكل مايواجهه هذا الشعب من أفراح وأتراح، وآلام وأمنيات •

ويشترك معظم الكتاب المعاصرين ، رغم مابينهم من فروق وتباينات ، فى خيط مشترك واحد ، يبدو واضحا فى جميع قصصهم ، وهو المثل الاعلى عند الاسبان للجمال ، نابعا من جماليتهم ، ومن انسانيتهم ، ومن نظراتهم الصافية الى الحياة ، ولعل هذه الظاهرة هى الصورة البارزة الغالبة على الأدب الاسبانى الحديث سواء فى بلاده الاصلية أو فى مهجره • مع البساطة فى المرئيات والحديث عنها حديثا بالغا عن النفس البشرية المرسلة على سجيتها •

ولعل القصة القصيرة التى نقلتها قبل بضعة أشهر الى العربية ، ونشرتها فى هذه المجلة ، للكاتب الجواتيمالى ، كارلوس أوسـبينا ، تقيم الدليل على صحة ما اقول • ففى هذه القصة ••• وعنوانها « صرت ملاكا » ، يتحدث الكاتب عن رجل متشرد افاق ، احنت السنون والهموم ظهره • وعرضته متاعب الحياة لآلام العين فكادت تعميها ، وتقوده قدماه بعد سنوات طويلة من الفراق والشقاء • والعذاب ، دون ان يدرى الى البيت الذى تديره زوجته ، والذى تعيش فيه مع أولاها منه ومن غيره ، فى خدمة سيده الاقطاعى • وكان زوجها قد هجرها قبل سنوات طويلة •

ويلتقى الرجل بزوجته بعد هذا الفراق الطويل ، فتعرفه لتوها ، وتسأله ••• « متى خرجت من السجن ياخوان ••• » ••• وتبدو فى الحوار الرائع الذى يدور بين الزوجين ، والذى يتناول الحياة فى جواتيمالا ، بكل ما فيها من بساطة وفاقة ، صورة مشرقة من الفن الاسبانى الرفيع ، الذى يصور الواقع تصويرا رائعـا ، بكثير من العاطفة المشبوبة ، التى تتجسـد فى تلك النوبة من الاجهاش بالبكاء ، بعد أن استعادت الذكريات ، ما كان بين الزوجين من حب ضائع •

واقام الرجل الكفيف البصر فى المزرعة التى تعمل فيها زوجته ، واصبح موظفا فيها تحت اشرافها وادارتها • ولما كان من الطراز الذى يقوم بكل عمل ، ويتدخل فى كل شىء • ويتقى كل مهنة ، فانه سرعان ما اصلح كل باب ، ووضـع كل قفل فى موضعه ، وسمر لكل جواد حدوته ، ورمم كل شىء خرب ، واعتنى بكل زهرة مهملة •

وهكذا تحول هذا الرجل الذى عرف السرقة منذ صباه ، ومارس القتل والنهب وقطع الطرق فى شبابه ، الى انسان وادع ، يحيا حياة هانئة ، سـاخرا من الماضى الذى عاشه ، والذى نسيه الآن ، بعد أن طوت له زوجته صفحة الماضى ، وغفرت له ، وحفزته على العمل من اجل ابنته وولدها •

وانتصر الخير على الشر ، وتحول اللص القاتل الى رجل شريف ، لم يعد يسلب احدا ماله ، وانما يعمل ويكسب رزقه بعرق جبينه ، وان اتفق وزوجه على ان يقتنص من السيد الاقطاعى الذى يبتز منهما عرقهما وجهدهما ، حقهمـا الذى لايعترف به ، عن طريق السرقة •

واصبح خوان بفضل جهده وسهره ، مدير المزرعة ، التى تحسن فيها العمـل وما بعد ان ساد النظام فيها • وقد مكنته خبرته السـابقة كلص وقاطع طريق ورئيس عصابة من ادارة العمل بحزم وسياسة مرءوسيه ، ومنعهم من السرقة والغش والخديعة ، وتحول خوفهم منه الى ولاء وحب وعباده ، لقوته ورجولته •

وننتقل بعد هذا الى صورة رائعة ، صورة الفتاة العاملة ، التى يتفجر جمالهـا الريان وهى ابنته ، فيطمع فيه السيد الاقطاعى ، بوصفه ، السيد المتحكم فيها وفى أسرتها ، وتقض هذه الحقيقة على خوان مضجعه لا سيما وقد لا حظ ان زوجته تعمل وسيطا بين السيد وفتاتها ، طمعا فى ماله •

وينفجر غضب اللص التائب · انه لايستطيع قبول هذه الضعه ، فيثـــور ، وينهال على زوجته يضربها ، ويدمى جسدها بلكماته وبركلاته ، ثم يخلفها وقد تورمت اجزاء جسدها ·

وتتوالى الايام ، وهو يضربها فى كل يوم ، بينمـــا تهـــدده هى بان السيد سيردهم جميعا من المزرعة ، اذا لم يذعن لرغباته المشبوبة · ولكن خوان صامد فى موقفه لايتراجع ولا يلين اذ يرد عليها بقوله ··· اذا كان الشرف يقوم على اشـــلاء مثل هذا العار فسأعود الى الطريق اقطعها ، والى الناس اسلبهم ما يملـــكون ··· ويمضى هذا الرجل ، اللص ، القاتل ، قائلا ··· هذا هو الخطأ فى تعليم الناس معنى الشرف · لقد سرقت ، هذه حقيقة · وكنت وغدا ، وكاذبا ، ومنافقـا ، وانا لاانكر ذلك ، فكل اثم ارتكبته فى الماضى يحز فى نفسى الألم · ولكننى لن أبيع فلذة كبدى· قولى عنى ما شئت ، فأنا رجل شرير ، وسيىء ، ولكننى سأحافظ على شرفى · وقد تقولين انى بليد ، ولكننى سأظل على هذه البلاده · وقد أنتهى نهاية اسوأ من البداية التى كنت فيها ، وعليك ان تدركى اننى سأذبحك واذبح ابنتى وأذبح السيد ، قبل ان يلوث شرفى ··· اننى لم امت بعد ····

وتعود زوجته الى ضميرها الغائب ···· فتجهش بالبكاء ، وهى تقول ···· لقد مات خوان الذى اعرفه ، بعد ان تحـــــولت الى قديس أو ملاك ··· بورك فيك ياخوان ·

قصة فى منتهى البساطة · ومعانيها فى منتهى الشيوع ، ولكنها تصاغ بأسلوب رائع ، متخذة من الشرق هدفا وغاية تسعى اليه ····

هذا هو طراز الادب الاسبانى الحديث ···· يصور الطبيعة ، ويصور تصارع العواطف البشرية ، ويسعى للوصول الى غاية ···

انه ادب سيتميز بالعواطف المشبوبة ، والفهم العميق للنفس الانســـــانية ، ورشاقة الاسلوب ··· وهو يصل الى غاياته ، عن طريق الربط بين ما يشغل الانسان ومجالات اهتمامه ، وحبه للحياة ····

ولعل خير تعريف له هو ما قاله الناقد المعروف فرى لويز دى ليون ····· انه يمثل الجمال الحق ، الذى يقوم على ان يتصرف كل انسان وكل شىء ، وفق طبيعته وهواه ·